Assimilation with ghannah between Sibawayh and the Tajweed scholars
- A study into the meaning of the concept and performance -

Assist prof Dr. Abhar Hadi Mohammed
Al muthanna University / College Basic Education
E-mail : abharhi73@gmail.com

Abstract:

This research shows the meaning of sibweh in(Al-idgham bghana), which is different from what the Tajweed scholars have called (Al-idgham Al-Waqf), but there is a big difference between the two concepts, because sibweh's texts suggest that this idgham is a complete idgham, and the song does not lack anything from it, but rather that this song is not a single essential sound, as is the case in concealment, but rather carries the sound of the song on the sound of the letter in which the noun was the consonant sounds and the intonation turn into these letters when they are added, and the convention of intonation is achieved, but these sounds drink the sound of a song and are not the song of the noun.

Key words: diphthongs, ghannah, Sibawayh, reciters.

الإدغام بغُنّة بين سيبويه وعلماء التجويد
– دراسة في دلالة المفهوم والأداء –

أ.م.د.ابهر هادي محمد
جامعة المثنى / كلية التربية الاساسية
E-mail : abharhi73@gmail.com

الملخص:

يبيّن هذا البحث مراد سيبويه بـ(الإدغام بغنة) ، وهو– على ما يبدو – مغاير لاصطلح علماء التجويد بـ (الادغام الناقص) ، وإنّما بين المفهومين بون كبير؛ اذ إن نصوص سيبويه توحي أنّ هذا الادغام هو إدغام تام ، ولا تنقص الغنة منه شيء ، بل إن هذه الغنة ليست صوتا جوهريا منفردا مثلما هي الحال في الاخفاء ، وإنّما يُحمل صوت الغُنّة على صوت الحرف الذي أُدغمت فيه النون ، أي حين تُدغَم النون بحروف الإدغام (اللام والراء والواو والياء) تتحول النون الساكنة والتنوين عند إدغامهما إلى هذه الحروف فيتحقق اصطلاح الإدغام ، لكنّ هذه الأصوات تُشرَب صوت غُنّة وليست هي غُنّة النّون ، وهو يخالف ما قاله اهل التجويد .

الكلمات المفتاحية: الادغام ، الغنة ، سيبويه ، القراء

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلاً عَلَى آلاَئِهِ ، وَالصَّلاةُ عَلى رَسُولِهِ نَبيّ الرَّحمَةِ وإمام الأئمَّةِ وَسِراج الأُمّةِ وعلى آلهِ الطَّيبينَ الطَاهرِينَ.

قد يكون من واجبات الدراسين في علوم العربية أن تحصل لهم معرفة دقيقة بأحكام تلاوة القرآن ، لأنّ هذه العلوم ما نشأت إلّا لتحافظ على هذا الدستور الالهي ، ولكن ما يثير في دراسة أحكام التلاوة هو مفهوم (الإدغام الناقص والإخفاء) وما يؤول إليه تعريف كلّ واحد منهما من تداخل حتى بات هذا التداخل عند علماء التجويد أنفسهم، فارتيت أن أرجع إلى علماء النّحو واللغة لما لهم من أثر رئيس في نشأة مدونات علم التجويد على ما سيتضح في السطور القابلة ، وفي الوقوف على كتاب سيبويه يبدو أنّ اختلافا كبيرا بين ما يريده سيبويه من مفهوم (الادغام بغنة) ، وما قاله علماء التجويد ، فبدا لي من الضروري أن أقول في ضوء هذه الدراسة : إنّ في كتاب سيبويه نصوصا تحتاج إلى إعادة النّظر والإمعان في قراءتها قراءة دقيقة متفحصة لما ينضوي فيها من معان ومفاهيم ربما يختلف مؤداها عمّا قيل فيها ، نظرا لما في الكتاب من نصوص قد استحكمت – ان لم تُستغلَق بعضها على كثير من الدارسين – قال ابن يعيش (٦٤٣هـ) عن الخليل (١٧٥هـ) : إنّ " من الأبواب ما لو شِئنا أن نشرحَه حتّى يستوِي فيه القويُّ والضعيفُ ، لَفَعَلْنا ولكنْ يجِب أن يكون للعالم مَزِيَّةٌ بعدَنا"[١] ، فكان هذا البحث (الإدغام بغُنّة بين سيبويه وعلماء التجويد – دراسة في دلالة المفهوم والأداء –) له قراءة في بعض تلك النّصوص سائلا العلي القدير الإعانة والتوفيق . إنّه نعم المولى ونعم المعين .

البحث

يستحسن قبل البدء في البحث بيان المفاهيم الرئيسة التي تتكأ عليها هذه الدراسة، وهي (الغُنّة ، الإخفاء ، الإدغام) .

الغُنّة: أبان علماء العربية أنّ هذا الصوت يخرج من الخياشيم وهو مختص بحرفي (الميم والنون) ، وقد وضع سيبويه معيارا لتمييز هذا الصوت ومخرجه واتبعه العلماء في ذلك ؛ اذ قال : النون والميم قد يعتمد لها في الفم والخياشيم فتصير فيهما غُنّة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلّ بهم"[٢]، ولم يختلف علماء التجويد[٣] في ذلك، بل ربّما زادوا شيئا من التفسير والتوضيح[٤] ، قال العطار(٦٥٩هـ) : "وإنّما سُمّي هذا الصوت غُنّة لجريه مع النون والميم بعد لزوم اللسان موضعها ، يدلّ على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لانحصر الصوت فيهما كالطنين ؛ لأن الخيشوم مركب فوق الغار الاعلى ، واليه سمّو هذا الصوت"[٥].

الإخفاء : يتفق العلماء على أنّ مفهوم الإخفاء هو انتفاء عمل اللسان وابقاء صوت الغُنّة التي تخرج من الخيشوم[٦] ، ويتحقق ذلك عندما تلتقي النون بحروف الفم خلا حروف الإدغام ، قال سيبويه : " وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم"[٧] ، وإلى مثله ذهب أهل التجويد ، قال الداني (٤٤٤هـ): " وأمّا إخفاء النون والتنوين فحقه أن يُؤتى بهما لا مظهرين ولا مدغمين ، فيكون مخرجهما من الخياشيم لا غير ، ويبطل عمل اللسان بهما ..."[٨] ، وقال في موضع آخر مؤكدا لحال إظهار الغُنّة : " فصارا[٩] عندهن لا مظهرين ولا مدغمين ، وغنتهما مع ذلك باقية ، ومخرجهما من الخيشوم خاصة ، ولا عمل للسان فيهما..."[١٠] .

الإدغام: قال سيبويه:" الإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر والآخر على حاله ، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد ... ويكون الآخر على حاله ... "[١١] ، فبالقلب والدخول في الثاني يشير سيبويه كأنّ أن لا وجود للحرف للأول بعد الإدغام ؛ لكون الأول صار حرفا آخر، وفي طريقة أدائه قال: " تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه"[١٢] ، وتابعه العلماء[١٣] ، وربّما فصّل بعضهم القول أكثر في طريقة أداء الحروف المُدغَمة ، وأنّ لهما حالا واحدة في المثلين والمتقاربين، فقيل : هو " رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة ووضعك إيّاه بهما موضعا واحدا وهو لا يكون إلّا في المثلين أو المتقاربين"[١٤] ، وهو ما ذهب اليه اكثر علماء التجويد ، فلم يختلفوا في حدّه وأدائه[١٥] .

(الادغام الناقص) عند علماء التجويد[١٦]

يعدُّ إدغام النون مع حروف (لم يرو) هو من إدغام المتقاربين ، وفرّق بعض أهل التجويد بين هذه الحروف من حيث الأداء الصوتي ، فقالوا : إنّ التقاء النون مع اللام والراء يفضي إلى ذهاب النون وغنتها[١٧] ، خلافا لإدغام النون مع (الياء والواو والميم) فوصفوه بادئ الامر بأنّه (ادغام فيه نقص) ، لظهور غُنّة النون[١٨] ، أو إدغام غير تام ، قال الداني: " فأمّا الراء واللام فيدغم النون والتنوين فيهما بغير غُنّة ، هذا المأخوذ به في الأداء ، فينقلبان من جنسهما قلبا صحيحا ، ويدغمان ادغاما تاما... وأمّا الياء والواو فيدغمان فيهما وتبقى غنتهما ... واذا بقيت غنتهما لم ينقلبا قلبا صحيحا ، ولا أُدغما إدغاما تاما ، وإنما يتمكن ذلك فيهما اذا ذهبت تلك الغُنّة بالقلب الصحيح"[١٩] ، فصرح هنا أن الإدغام مع الواو والياء غير تام ما دامت الغُنّة باقية ، ويبدو أنّ هذه النصوص كانت بداية لظهور مصطلح الإدغام الناقص ، وهذا ما يلحظ عند المتأخرين ، اذ نجد أن مصطلح الإدغام الناقص قد اتضح مفهوما ، ووضع له حدّاً في المدونة العلمية ، قال المرعشي (١١٥٠) : " وان أدرج الحرف الاول في الثاني ذاتا لا صفة بأن كانا متقاربين فانقلب ذات الحرف الأول إلى ذات الحرف الثاني ، ولم تنقلب صفته بل بقي في التلفظ فالإدغام حينئذ ناقص والصفة باقية من الحرف الأول ..."[٢٠]

لكنّ ما يخلص إليه بحسب ما تقدم من الآراء ولحاظ مفهومي الإخفاء والإدغام أنّها تنحو باتجاه تداخل المفاهيم المعرفية وحدودها ؛ إذ ما يصطلح عليه بالإدغام الناقص في حرفي(الواو والياء) يلتصق به مفهوم الإخفاء أكثر من الإدغام لبقاء الغُنّة ؛ لأن وصف الناقص تعني هنا بقاء الغُنّة ، ولهذا التداخل في حدود المفاهيم ومصاديقها بدا لبعض العلماء تشبيه الإدغام الناقص بالإخفاء تارة ، فقيل " هو بالاخفاء أشبه "[٢١] ، أو إنّ " هذا الإدغام شبيه بإخفائها"[٢٢] . لكنّهم تارة لم يستطيبوه الا أن يصطلحوا عليه بالإخفاء ، نظرا لما يحمل الصوت المنبعث من التقاء النون بالواو والياء من غُنّة ، قال الداني في التحديد : " قال الامام احمد بن يعقوب التائب : النون في مذهب نافع وموافقيه عند الياء والواو تصير غُنّة مخفاة غير مدغمة لأنّهم لو أدغموها لذهبت الغُنّة فصارت الياء والواو مشددتين لانقلاب النون ياء وواوا لإندغامهما فيهما"[٢٣] .

وهذا التوجيه[٢٤] يصرح إن وُسِم الإدغام مع وجود الغُنّة ينافي حده الذي عرف به، ويبدو أنّ السخاوي (٦٤٣هـ) احتكم إلى هذا الحد ليجعله فاصلا في توصيف الغُنّة مع الواو والياء فقال: " واعلم أن حقيقية ذلك في الواو والياء إخفاء لا إدغام ، وإنّما يقولون له إدغام مجازا ، وهو في الحقيقة إخفاء على مذهب من يُبقي الغُنّة ؛ لأنّ ظهور الغُنّة يمنع تمحض الإدغام ، إلا أنّه لا بُدّ من تشديد يسير فيهما ، وهو قول الأكابر، قال : الإخفاء ما بقيت معه الغُنّة ..."[٢٥] . وخالفه ابن الجزري (٨٣٣هـ) في كتاب النشر بعد أن أشار إلى هذا النّص قائلا : " والصحيح من أقوال الأئمة أنّه إدغام ناقص من أجل صوت الغُنّة الموجودة معه"[٢٦] ، فقوله : " من اجل صوت الغُنّة " يشي بأنّ مصطلح الإدغام الناقص رَهْن بوجود الغُنّة وعدمها، أو أن يقال : إنّ الغُنّة في التقاء النون مع الواو والياء اوزعت لعلماء التجويد بظهور الإدغام الناقص ؛ لكون الغنة من خواص الإخفاء تجنبا لتداخله مع مفهوم الإدغام التام . واذا ما وقفنا على نقولات المرعشي وهو من علماء القرن الثاني عشر نجده يشير الى الخلاف أعلاه ؛ اذ نقل عن غيره قائلا : " أنّ إدغام النون والتنوين في الواو والياء مع بقاء الغُنّة إخفاء في الحقيقة ، وهو قول الأكابر حيث قالوا : الإخفاء ما بقيت معه الغنة "[٢٧] .

ثم إنّ لحاظ هذه الأقوال تبدي مسألة مفادها : أن توصيف حال النّون مع الياء والواو مختلف فيها منذ عهد متقدم ، فالسخاوي والمرعشي قالا:" وهو قول الأكابر..." ، وابن الجزري قال : " والصحيح من أقوال الائمة ..."

ويبدو أن بعضا من علماء اللغة قد وقفوا على هذه الظاهرة، من نحو الرضي الاستراباذي (٦٨٦هـ) ، فوصف حال الإدغام مع حرفي الواو والياء انها حال بين الإخفاء والإدغام ، أي هو فوق الإخفاء وتحت الإدغام ؛ لكونه يرى بقاء غُنّة النون ، فقال: " وإن كان المدغم فيه واوا أو ياء فالاولى الغُنّة لوجهين : أحدهما أن مقاربة النون إياهما بالصفة لا بالمخرج ، فالأولى أن لا يغتفر ذهاب فضيلة النون : أي الغُنّة

رأسا لمثل هذا القرب غير الكامل، بل ينبغي أن يكون للنون معهما حالة بين الإخفاء والادغام، وهى الحالة التي فوق الإخفاء ودون الإدغام التام، فيبقى شيء من الغنة"[٢٨].

وعليه فالذي تفصح به النصوص المتقدمة أن اختلافا حقيقيا بين العلماء في توصيف صوت الغُنّة مع حرفي الواو والياء[٢٩] .

الإدغام بغُنّة عند سيبويه

لعل الوقوف على نصوص سيبويه ومن تابعه قد يُبدي فهما آخر ، ليميط اللثام عن محاذير هذا اللبس الاصطلاحي .

يرى سيبويه أنّ الأصل مع حروف الفم هو الإدغام، ولكن العرب أخفوها لوجود ما يدلّ عليها ، وهي الغُنّة ، فتكون الغُنّة حينئذ دليلا على النون المحذوفة من مخرج الفم ، فخفّفوا العمل في السنتهم ، قال سيبويه:" وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم ؛ وذلك أنّها من حروف الفم ، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنّها أكثر الحروف ، فلما وصلوا إلى أنّ يكون لها مخرجٌ من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنّها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنّه ليس حرفٌ يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبسٌ ، وكان أصلُ الإدغام وكثرةُ الحروف للفم. وذلك قولك: من كان ، ومن قال ، ومن جاء "[٣٠] ، وهذا النّص عند الوقوف عليه يشير إلى مسألتين مهمتين :

- إحداهما أنّ الإخفاء لا بُدّ له من غُنّة النون لكي تكون دليلا على ما حُذف من الفم وهو مخرج النون .
- وثانيها أنّ الإدغام يُذهِب الغُنّة ، ولولا ذلك لكان حق حروف الإخفاء أن تدغم ؛ لكون الإدغام هو الأصل في هذه الحروف ، أي إنّ ذهاب الغُنّة مع الإدغام يعد السبب الرئيس في عدم إدغام الحروف التي في الفم المُصطلح بـ(حروف الإخفاء) . وعليه فالغُنّة تعد – عند سيبويه – مائزا بين مفهومي الإخفاء والإدغام .

أمّا عند التقاء النون بحروف (اللام والراء والواو والياء والميم) فقال سيبويه : " النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان ... وتدغم بغُنّة وبلا غُنّة ، وتدغم في اللام لأنها قريبةٌ منها ... فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة[٣١] ، فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغُنّة ... وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد ... حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون ... وتدغم النون مع الواو بغُنّة وبلا غُنّة ... وتدغم النون مع الياء بغُنّة وبلا غُنّة ..."[٣٢] ، ففي هذا النّص يتحدث سيبويه عن الإدغام ، وقد يشي هذا الحديث أنّ ثمة تناقضا مع النّص المتقدم في الإخفاء ؛ لأن سيبويه أخفى حروف

الفم ، التي كان حقها الإدغام – بحسب قوله – فلم يدغمها ، بل أخفاها ؛ لسهولة العمل على اللسان ، ولأن الغُنّة التي تظهر مع الإخفاء دليل على النون المحذوفة من الفم ، وهنا في هذا النص يصرّح بجواز بقاء الغُنّة مع حروف الإدغام ، ولو حمل الكلام على ظاهره لجاز أن يدغم النون مع حروف الفم بدل إخفائها لبقاء ما يدل عليها وهي الغُنّة ، ولكنْ يبدو أنّ سيبويه تنبه إلى ذلك فحرص على أن لا يقع لبس بين هذا وذاك ، فأبان عن حقيقة الغُنّة وماهيتها في إدغام هذه الحروف ؛ إذ يرى أنّها ليست كغُنّة حروف الإخفاء، فقال : " وهي [الغُنّة] مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمت بغُنّة فليس مخرجها من الخياشيم ، ولكنْ صوت الفم أشرب غُنّة ، ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام ، حتى تصير مثلهن في كل شيء "[٣٣] ، وهنا يبيّن صاحب الكتاب أنّ الغُنّة التي في الإدغام – من قوله: يُدغَم بغُنّة وبغير غُنّة – ليست هي هي الغُنّة في الإخفاء ؛ لأن في الاخفاء كانت الغنة من الخياشيم حين قال : " حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم " ، وهنا ليس من الخياشيم حين قال : " إذا أدغمت بغُنّة فليس مخرجها من الخياشيم " .

ثم إنّه يُشير في هذا النّص أنّ الإدغام هو تحويل المدغم من جنس المدغم فيه لا غير ، وكأنّه لا يعرف للإدغام قسيما حتى يقال : إدغام تام وآخر ناقص ؛ ولذا لم يشر سيبويه في كتابه على نص أو مصطلح (الإدغام الناقص) ، أو يلمح له ، وما ذهب إليه سيبويه في هذا البيان هو ألصق بتعريفي الإخفاء والإدغام وحدودهما ، فالغرض من وضع التعريف هو " تفهيم مفهوم المعرَّف (بالفتح) وتمييزه عما عداه "[٣٤] ، فاحتراز سيبويه في النّص الأخير من قوله : " ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام ، حتى تصير مثلهن في كل شيء "[٣٥] ليضع حدا فاصلا بين الإخفاء والإدغام اللذين أبان عنهما ، وكأنّه يقول: إنّ خرجت الغُنّة من الخيشوم لا يصح عليها مفهوم الإدغام ؛ لأنّ ما يصحّ عليه هذا المفهوم هو أن تكون النون مثل الراء واللام والواو والياء في كل شيء ، مثلما نص على ذلك في تعريفه للإدغام حين قال: " ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد"[٣٦]، ففيه يشير إلى مصطلح الإدخال ليكون مع ما أدخل فيه واحد، فطابق قوله في النون هنا بين حد الإدغام وبين مصاديقه .

ويبدو أنّ الرضي حين ذهب إلى مصطلح الوسطية في الإدغام الناقص فجعله فوق الإخفاء وتحت الإدغام التام[٣٧] هو لتجنب تداخل المفاهيم . ولكن حين نقف على نص الرضي الآنف الذي قال فيه : " بل ينبغي أن يكون للنون معهما حالة بين الإخفاء والادغام، وهى الحالة التي فوق الإخفاء ودون الإدغام التام، فيبقى شيء من الغنة"[٣٨] نجد أنّ النّص يبدي جملة من التساؤلات ؛ لأنّ الصوت الغنّي اما أن يكون موجودا أو غير موجود، بصرف النظر عن كميته (مد الصوت ومطه) ، وإذا رجعنا إلى الإخفاء فيكاد العلماء لغويون وقراء يتفقون على وجود الغُنّة مثلما اتضح في حده ، خلافا للإدغام الذي اتضح فيه

انتفاء مخرج الحرف وصفته ، فلا وجود لصوت الغُنّة إن أُدغمت – بحسب حد الإدغام – ، وعليه فما هي الحال التي تكون بين الوجود واللا وجود؟ أي الحال التي تكون بين وجود الغُنّة في الاظهار وعدم وجودها في الادغام؟ نعم حين يقول بعض العلماء: إنّ الإخفاء هي حال بين الاظهار والإدغام ، فلا ضير فيه ؛ لأنّ في الإخفاء انتفى شيء موجود في الإظهار، وهو الأداء الحركي لمخرج الحرف في الفم عند نطق النون ، وبقيت الغُنّة التي فقدت في الإدغام ، فكان للإخفاء على ذلك حال وسط بين الفقدان وعدمه ، أي فقدان الإتكاء على مخرج النون من الفم خلافا للإظهار، وعدم فقدان الغُنّة وفاقا له ، قال المرعشي : " والإظهار إبقاء ذات الحرف وصفته معا، والإدغام التام إذهابهما معا ، والإخفاء حالة تكون بينهما"[٣٩] .

زيادة على ذلك لا يسعنا حمل كلام الرضي على درجات الإخفاء أو مراتبه حتى يقال: إنّ للإدغام درجات، لأن درجات الإخفاء بحسب قرب الحرف وبعده عن النون يكون في زيادة صوت الغُنّة (مد الصوت وكميته) ، لا في أصل ظهور صوت النون لأنّه معدوم في الإدغام ، قال المرعشي: " إنّ كون إخفاء النون أزيد وغير أزيد لا يظهر فائدته في نفس النون ؛ لأنّها معدومة في جميع المراتب ولا تمايز في الإعدام ، ففائدة هذه المراتب إنّما هي في الأثر الباقي من النون وهي الغنة"[٤٠] ، وعليه فتحقيق الوسطية في غُنّة الإدغام الناقص بين الإخفاء والإدغام التام قد يكون غايته تجنّب وقوع الإدغام التام في الإخفاء والحفاظ على حديّ كلا منهما ، ولا يحمل كلامه في الغُنّة – حين قال: " فيبقى شيء من الغنة " – على ما قاله سيبويه ؛ لأنّه خالفه ، ومن ثَمّ صرّح أنّ هذه الغُنّة هي للنون في قوله: " أمّا على ما اخترناه فالغنة للنون التي هي كالمدغمة "[٤١] ، وهذا القول في الوقت نفسه يؤكد ما سيذهب إليه البحث في السطور القابلة .

وخلاصة القول في هذه الورقة البحثية: إنّ التقاء النون الساكنة والتنوين بحرفي الواو والياء إن كان بغُنّة فأمّا أن يكون إخفاء وهو ما ذهب اليه طائفة من علماء التجويد ، وتبناه بعض المحدثين[٤٢] ، وإن كان هذا يخالف أقوال كثير من العلماء إلا أنّه ينسجم ومفهوم الإخفاء ، وأمّا أن يكون الصوت المنبعث ليس صوت غُنّة الخيشوم مثلما تقرر عند سيبويه ومن تابعه كالمبرد (٢٨٥م)[٤٣] ، وابن السراج (٣١٦هـ) معتدا بنصوص الكتاب نفسها في الأصول[٤٤] وهو الارجح على ما يبدو لأسباب كثيرة لعل أهمها :

اولا / إنّ سيبويه هو الأقرب إلى عهد القرآن وسماعه ، إذا يكاد يكون معاصرا لأكثر القراء السبعة أو رواتهم[٤٥] ، واذا كان كذلك فهو يمتلك ذائقة سميعة أكثر دقة في تفحص الصوت ومخرجه ، أو ما يتعلق به من شوائب صوتية أخرى . فهو في كتابه لم يذهب إلى إيجاد شيء غير موجود ، وإنّما وصف ما هو موجود في لسان العرب آنذاك ، ففي قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥] قال الزمخشري : " والنون في ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أدغمت بغُنّة وبغير غُنّة ، فالكسائي ، وحمزة ،

ويزيد، وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها . وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو . فقد روى عنه فيها روايتان"[٤٦] ، وعليه فسيبويه كان على دراية بما أبداه القراء من حكم الغُنّة عند التقاء النون مع هذه الحروف، إذ كان في زمن المشافهة معهم ، من غير وساطة ، فسمع ماهية الصوت وحقيقته على ما سيتضح في الرقم (ثالثا) .

ثانيا/ إنّ علماء التجويد لم يُعرف لهم مؤلف مستقل في هذا العلم إلّا في القرآن الخامس الهجري على يد مكي ابن ابي طالب وأبي عمرو الداني[٤٧] ، زيادة على ذلك أنّ أصل هذا العلم بحسب ما أشار إليه بعض الباحثين قد استُقيَ من النحويين واللغويين والقراء[٤٨] ، ولم يصل شيء من كتب التجويد في القرنين الثاني والثالث ، بل إنّ مصطلح التجويد لم يرد بهذا المعنى إلّا في القرن الرابع الهجري[٤٩] .

ثالثا / لا بُدّ من التنبيه أنّ ثمة فرقا بين الغُنّة وإشراب الصوت غُنّة على مستوى الأداء ، فغُنّة الإخفاء إن أُغلق الأنف لا يُسمع لها صوت ، أو بعبارة أخرى : إنّ جوهر الصوت الغنّي يذهب أن أُطبق على الأنف، فلو نقرأ مثلا : (من كان ، من سار) أو غيرها من حروف الإخفاء وأُغلق الأنف لانتفى جوهر الصوت باحتباسه في الأنف، أي إنّ الزمن الذي تُسمع فيه الغُنّة أثناء الإخفاء إنّما هو صوت غنيٌّ مستقلّ غير محمول على صوت آخر ، خلافا لإشراب الصوت غُنّة ، ففي هذه الحال هناك جوهر للصوت تداخلت معه الغُنّة ، ولو أُغلق الأنف لاستمر جريان ذلك الصوت، وهذا لا يحدث في التقاء النون مع الواو والياء، بل ربما تُشرَب الحروف المديّة غُنّة مع عدم وجود النون فلو مدت الواو والياء في مثل (التوابين ، التوابون، الظالمون، الظالمين) ، وإن كان منهيّا عنه الا أنّ ما يفيدنا هنا هو أنّ الصوت الأساس (صوت الواو والياء) موجود وبالإمكان حمل صوت من الغُنّة عليه ، ولو رجعنا إلى نص سيبويه حين قال : "ولكن صوت الفم أشرب غنةً" يعني أنّ هناك صوتا جوهريا موجود غير الغُنّة الذي اصطلح عليه (بصوت الفم)، وهذا الصوت هو الذي (أُشرب الغنة) ، أي خالطته الغُنّة[٥٠] ؛ إذ المخالطة لا تكون إلّا مع شيء موجود.

وفي عبارة أخرى: لو قيل مثلا (ثوب أبيض أُشرِب حمرة) فان بقاء الحمرة أو ذهابها لا يُؤثّر على أصل الثوب الأبيض وجوهره ، بقدر ما يؤثر على شيء من أعراض ذلك الثوب . ولذلك إذا ذهبت الحمرة أو لم تذهب فالثوب باقٍ في الأحوال كلّها ، خلافا فيما لو ذهب الثوب فلا تبقى الحُمرة البتة لأنها محمولة على الثوب ، وليست قائمة بنفسها.

وهذه هي الحال في الإدغام بغُنّة وبغير غُنّة، فالأول حمل صوت من الغُنّة على صوت جوهري آخر ، والثاني تجريد ذلك الصوت الجوهر من الغُنّة ، أضف الى ذلك هو التأكيد على قول سيبويه من أن

هذه الغنة التي تخالط الصوت ليست غنة النون، أي لم يُقصد النطق بها مثلما هي الحال في الإخفاء التي لا بُدّ أن يتعمد القارئ من إخراجها من موضعها وهو الخيشوم .

ويبدو لي أنّ هذا الوجه هو الأقرب في توجيه إدغام النون بالياء والواو بغُنّة وبغير غُنّة ، ومن ثم وسمه بالإدغام دون الإخفاء . وعليه فان وصف الإدغام بالغُنّة هو أكثر دقة ؛ لان حقيقية الإدغام متحققة حينئذ ، ويحمل على هذا الإدغام صوت الغُنّة تارة ، وتارة يُسلب ، ولا يضر ذلك في الإدغام ، وعليه فالإدغام بغُنّة هو ادغام تام وزيادة ، خلافا لمصطلح الإدغام الناقص الذي يشي بنقصان الإدغام التام .

وفي الوقت نفسه لا يؤدي هذا التفسير الى تداخل المصطلحات في كتب أوائل النحويين ، بل إنّ هذا التوجيه يُوحي بدقة ما ذهب إليه سيبويه في استعمال المصطلحات ، خلافا لمن يقول بالإدغام الناقص .

الخاتمة:

ما يخلص إليه الحديث في هذه الورقة البحثية أنّ سيبويه يعد الإدغام في حروف (لم يرو) عند التقاء النون الساكنة بها هو إدغام تام وإنّ الصوت المنبعث المصاحب لهذا الإدغام هو ليس صوت من النون المدغمة وإنّما خالط الصوت غُنّة ، وهذا التوجيه من صاحب الكتاب يفضي إلى عدم تداخل المفاهيم ، وانتفاء تقسيم الإدغام إلى تام وناقص، وفي الوقوف على الأداء الصوتي لهذه الظاهرة بعد النظر في نصوص سيبويه بدا أنّ جوهر صوت الواو والياء قد وجد منذ لحظة ادغام النون فيهما ، لكن هذا الصوت قد جرد من الغُنّة على قراءة، وشابته الغُنّة على قراءة أخرى، وفي كلا القراءتين لم يخرج الإدغام عن حقيقته ، خلافا لما ذهب إليه علماء التجويد بعدّه ادغاما ناقصا ، أو إخفاءً .

روافد البحث:

- الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (٣١٦هـ) ، تح : د . عبد الحسين الفتلي ، ط/٣ ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٨.
- التحديد في الاتقان والتجويد : ابو عمر عثمان بن سعيد الداني الاندلسي ، تج : الدكتور غانم قدوري الحمد ، ط/١ ، دار عمان للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠م .
- جهد العقل:للعلامة محمد المرعشي الملقب بساجقتي زاده، ط/١، مؤسسة قرطبة، د – م ، د – ت .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : الدكتور غانم قدوري الحمد ، ط/٢ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، أبو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تح : الدكتور احمد حسن فرحات ، د – ط ، دار الكتب العربية ، د – م .

- شرح شافية ابن الحاجب: محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين (٦٨٦هـ) ، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة : محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، ومحمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية ، محمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، د – ط ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .
- شرح المفصل : يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش (٦٤٣هـ) ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
- العين : لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تح : د. مهدي المخزومي ، و د. ابراهيم السامرائي ، ط/١ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- فتح الوصيد في شرح القصيد: علم الدين علي بن محمد السخاوي (٦٤٣هـ) ، تح : د . مولاي محمد الادريسي الطاهري ، د – ط ، مكتبة الرشيد – ناشرون ، د – م ، د – ت .
- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (١٨٠هـ) تح : عبد السلام محمد هارون ، ط/٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- كتاب التكملة : لابي علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي الفارسي (٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة : د. كاظم بحر المرجان ، ط/٢ ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) ، ط/٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧ هـ .
- المقتضب : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ)، تح : محمد عبد الخالق عظيمة ، د – ط ، عالم الكتب. – بيروت ، د – ت .
- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، د – ط ، دار الفكر ، د – م ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الممتع الكبير في التصريف : ابن عصفور الاشبيلي (٦٦٩هـ) ، تج : د .فخر الديم قباوة ، ط/١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٦م
- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية : ملا علي القاري ، تح اسامة عطايا ، ط/٢ ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق – سوريا ، ٢٠١٢م
- المنطق : الشيخ محمد رضا المظفر ، ط/٧ ، دار الغدير ، قم – ايران ، ١٤٢٩

الهوامش:

١- شرح المفصل : ابن يعيش : ٢/١ .

٢- الكتاب : ٣٣٩/٤ ، وينظر : العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي : ٢٤٨/٤ ، والكتاب ، سيبويه : ، والمقتضب ، المبرد : ٣٠٢/١ ، ودراسات الصوت اللغوي ، احمد مختار عمر : ٩٥ – ١١٠ ، الدرس الصوتي عند علماء التجويد : ٢٦٨ .

٣- ينظر : الرعاية ، مكي ابن ابي طالب : ١٠٦ .، والتحديد في التقان والتجويد ، الداني : ١٠٩ .

٤- إنّ الإجمال في كتب النحويين الاوائل ولا سيما سيبويه ربما يكون سببه أن المعرفة آنذاك عند طالبيها ليست هي المعرفة نفسها بعد قرن او قرنين من الزمن ، وليس هي مثلها الان ؛ ولذا فنصوص المدونات العلمية تختلف تبعا لتلك المعرفة ولهذا كانت نصوص العلماء المتأخرين اكثر توضيحا وتفسيرا ، لا ان الاوائل قصّروا في توضيحها .

٥ – التمهيد : ١٤٦

٦ – يختلف العلماء من أن النون لها مخرجان هما الحلق والخيشوم ام مخرج وصفة لازمة وهي الغُنّة . ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٣/ ١٨٦ ، والممتع في التصريف : ٤٢٩.

٧ – الكتاب :

٨ – التحديد في الاتقان والتجويد : ١٠٠

٩ – عائد الف التثنية على النون والتنوين

١٠ – التحديد في الاتقان والتجويد : ١١٥

١١ – الكتاب : ٢٥٨/١ .

١٢ - المصدر نفسه :

١٣ – المقتضب : ١٩٧/١ .

١٤ – الممتع في التصريف ، ابن عصفور الاشبيلي : ٤٠١ .

١٥ – ينظر : التحديد في الاتقان والتجويد ، الداني : ٩٩ ، والمنح الفكرية ، علي القاري : ١٧٥ .

١٦ – يعد الدكتور غانم قدوري الحمد أن اعظم مؤلفات علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية وكتاب السعيدي (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) هما كتابا الرعاية لمكي ابن ابي طالب والتحديد للداني في القرن الخامس الهجري . ينظر : الدراسات الصوتية عند علما التجويد : ١٨–٢٠ .

١٧ – اجاز كثير من اللغويين والقراء الاتيان بالغُنّة عند ادغام النون باللام والراء ولكن بعضهم يرجحون عدم الغُنّة . ينظر : الكتاب : ٣٤١/٤، والممتع في التصريف : ٤٤٢

١٨ – ينظر : الرعاية :٢٢٩

١٩ – التحديد في الاتقان والتجويد : ١١٣ ، وينظر : المنح الفكرية : ٢١٠ .

٢٠ – جهد العقل : ١٣٣ ، وينظر : النشر في القراءات العشر ، والمنح الفكرية : ١٦١

٢١ – مرشد القارئ : ٦٦

٢٢ – جهد العقل : ١٢٠

٢٣ – التحديد في الاتقان والتجويد : ١١٤ .

٢٤ – (توجيه الداني) وهذا الراي نقله الداني ولم يتبناه

٢٥ – فتح الوصيد في شرح القصيد : ٤٠٩

٢٦ – النشر في القراءات العشر

٢٧ – جهد العقل : ١٥٢

٢٨ – شرح شافية ابن الحاجب : ١٨٧/٣

٢٩ – لم يدرج اوائل العلماء النون مع هذه الحروف ؛ لكون الادغام يصير من نوع المثلين ، لكن المتأخرين والمحدثين الحقوها بهذه الحروف حتى تتم احكام النون ، ثم إن البحث هنا لم يتعرض للغنة مع هذين الحرفين ؛ لكونهما حرفي غنة ، وكان الخلاف بين العلماء في غنة أيهم تكون ؟ هل هي غنة الحرف الاول (المدغم) أم الثاني (المدغم فيه) ؟ وليس هذا موضوع البحث ، ينظر : فتح الوصيد في شرح القصيد : ٤١٠/١ ..

٣٠ – الكتاب : ٤/ ٣٤٠

٣١ – وظهور الغُنّة في الادغام مما ذهب اليه الخليل ابن احمد الفراهيدي ؛ اذ قال : " ألّا : وأما ألا ثقيلة فإنها جمع أن ولا وكذلك لئلا هي لأن لا تقول أمرتك ألا تفعل ذلك ولكن النون تدغم في اللام وفي لغة تتبين ولابد لـ ألّا في اللغتين من غُنّة " العين : ٣٥٢/٨ .

٣٢ – الكتاب

٣٣ – الكتاب : ٤/ ٣٤١

٣٤ – المنظق ، المظفر : ٩٩/١ . اشار اهل المنطق ان صحة التعريف تتحقق بشروط خمس هي ١ – المساواة بين المعرِّف والمعرَّف ٢ – ان يكون المعرِّف اجلى واعرف من المعرَّف ٣ – ان لا يكون المعرِّ عين المعرَّف ٤ – ان يكون خاليا من الدور ٥ – نصوع الالفاظ المستعملة في التريف ووضوحها . ينظر : المنطق: ١ / ٩٩-١٠٢ .

٣٥ – الكتاب : ٤/ ٣٤١

٣٦ – الكتاب : ٤/ ٣٤١

٣٧ – ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١٨٧/٣:

٣٨ – المصدر نفسه : ١٨٧/٣

٣٩ – ينظر : جهد العقل : ١٥٨

٤٠ – جهد العقل : ١٦٠

٤١ – شرح شافية ابن الحاجب : ١٨٧/٣

٤٢ – ينظر : الدراسات الصوتية عند علما التجويد : ٣٨٥ .

٤٣ – قال المبرد : " وَزعم سِيبَوَيْهٍ أَنَّها مَعَ مَا تُدْغَم فِيهِ مخرجها من الْفَم لَا من الخياشيم لأَنَّها لَو كَانَت تُدْغَم فِي حُرُوف الْفَم وَهِي من الخياشيم مَعَ تبَاعد مَا بَينهمَا لجَاز أَن يدغم الأَبعد فِي الأَبعد وَهَذَا نقض الْبَاب وَالْخُرُوج من الْمَعْقُول وَالْقَوْل عِنْدِي كَمَا قَالَ / فِي جَمِيع هَذِه الحروفَ إِلاّ حُرُوف الشّفة " المقتضب : ٢٢١/١

٤٤ – ينظر : الاصول في النحو : ٤١٦/٣ .

٤٥ – وهم كل من (الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني (١٦٩هـ) ، والإمام بن كثير المكي (١٢٠هـ) ، والإمام عاصم الكوفي (١٢٧هـ) ، والإمام ابن عامر الشامي (١١٨هـ) ، والإمام أبو عمرو البصري (١٥٥هـ) ، والإمام حمزة الكوفي (١٥٦هـ) ، والإمام الكسائي الكوفي (١٨٩هـ))

٤٦ – الكشاف : ٨٥/١ .

٤٧ – وضع ابو مزاحم الخاقاني (٣٢٥هـ) قصيدة عرفت عند اهل هذا الفن بالقصيدة الخاقانية التي يعدها ابن الجزري اول مصنف بالتجويد .

٤٨ – لا يقصد بالعلماء القراء هم انفسهم علماء التجويد فعلماء القراء يعملون على رواية النص القرآني وضبطه، قال الدكتور غانم قدوري الحمد: " لا يمكن ان تعد الكتب التي الفها القراء في وصف القراءات القرانية بدءا للتأليف في علم التجويد ؛ لان علم القراءة وعلم التجويد وان كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن ، يختلفان في الموضوع كما يختلفان في المنهج ، اما الموضوع فان علم التجويد لا يعني باختلاف الرواة بقدر عنايته بتحقيق اللفظ وتجويده ... واما المنهج فان كتب القراءات كتب رواية ، وكتب التجويد كنب دراية تعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة اصوات اللغة وتحليلها ووصفها" الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢١

٤٩ – الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٦ – ٢٢

٥٠ – قال ابن فارس : " والإشراب: لونٌ قد أُشْرِبَ من لَون، يقال: فيه شُرْبَةُ حُمْرةٍ. ويقال أُشْرِبَ فلانٌ حبَّ فلانٍ، إذا خالطَ قلبه " ، مقاييس اللغة : ٢٠٨/٢